غايات إنزال القرآن الكريم في ضوء نصوصه

بقلم
د/ نورة بن حسن(*) والطيب صفية(**)

ملخص

لا يكاد يخلو كتاب من كتب علوم القرآن من الحديث عن نزول القرآن الكريم، إلاّ أن جانبا من هذا الموضوع لا يُذكر إلا جزء يسير منه، وهو غايات إنزال هذا القرآن، فلا تكاد تجد له ذكرا إلا في غاية نزوله جملة إلى السماء الدنيا. وهو ما يدعو إلى التساؤل عن مدى إمكانية الكشف عن تلك الغايات من خلال النصوص القرآنية؟

بناءً على ذلك جاء هذا البحث الموسوم ب: "**غايات إنزال القرآن الكريم في ضوء نصوصه**"نظرا لأهميته في فهم مراد الشارع.والذي يهدف إلى محاولة الكشف عن الغايات التي أُنزل لأجلها القرآن، والتي جاءت موزعة على جميع أنواع نزوله ومراحله، كما تتنوع بحسب أصناف الناس المختلفة. وتتظافر جميع تلك الغايات لخدمة الغاية الكبرى، وهي إخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور.

الكلمات المفتاحية: الغايات، الإنزال، القرآن الكريم.

(*) أستاذ محاضر "أ" بقسم أصول الدين ـ كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة1.
nourabenhacene @yahoo.fr
(**) باحث بمرحلة الدكتوراه ـ كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة1.
sefia17@live.fr

مقدمة

القرآن الكريم رسالة الله الخاتمة إلى النّاس، رسالة من خالقهم مالك الأرض والسّماوات مدبّر شؤون الخلائق أجمعين. لأجل ذلك كان فهم هذه الرّسالة من أولى الأولويات وأهمّ المطالب العاليات. وإنّ ممّا يفيد غاية الإفادة في فهم هذه الرّسالة فهم غايات إنزالها. فإلى أي مدى يمكن الكشف عن تلك الغايات؟وفيما تتمثل؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليّة ناسب بحث الموضوع بعنوان: "**غايات إنزال القرآن الكريم في ضوء نصوصه**".

والحديث عن غايات إنزال القرآن -ولا شكّ- جانب مهمّ أهمّية هذه الرّسالة وطبيعتها؛ إذ هي رسالة من الخالق إلى الخلق. كما أن فهم الغايات من إنزال القرآن إجمالا، ضروريّ لفهم غايات آيات القرآن الجزئية تفصيلا، إذ لا يتمّ فهم التّفاصيل على أكمل وجه إلّا في ضوء فهم الغايات العامة والكبرى لهذه الرّسالة العظيمة.

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على غايات إنزال القرآن، وتنوّعها بتنوّع التنزّلات وبتنوّع من أنزل لأجلهم، من أجل تسهيل فهم الرّسالة؛ إجمالا وتفصيلا.

واستدعت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبّع النصوص القرآنية المتحدّثة عن غايات إنزاله، مع الاقتصار على الحقل المعجمي للفظ النّزول – دون الحقل الدّلاليّ- المعلّل بغايةٍ.

وقد اقتضت المادة العلمية تقسيم البحث إلى مقدمة وستة مطالب مذيلة بخاتمة على النّحو الآتي:

المطلب الأوّل: مفهوم غايات نزول القرآن

المطلب الثّاني: الغاية من إنزاله في اللّيلة المباركة

المطلب الثّالث: الغاية من إنزاله على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

المطلب الرّابع: الغاية من إنزاله على هيئات وصفات معيّنة

المطلب الخامس: الغاية من إنزاله إلى وجهات معيّنة

المطلب السّادس: الغاية من إنزال بعض أجزائه.

وسنشرع الآن في دراسة هذه المطالب بشيء من التفصيل

المطلب الأوّل

مفهوم غايات نزول القرآن

إنّ الوقوف على مفهوم هذا المركّب الإضافيّ متوقّف على فهم مفرداته.

الفرع الأول : تعريف الغايات

أولا: الغايات لغة :عُرّفت الغاية في الاستعمال المعجمي بعدة تعريفات من بينها:

ذهب ابن فارس إلى أنّ الْغَايَة هِيَ الرَّايَةُ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُظِلُّ مَنْ تَحْتَهَا. ثُمَّ سُمِّيَتْ نِهَايَةُ الشَّيْءِ غَايَةً،حملاً على غاية الْحَرْبِ، وَهِيَ الرَّايَةُ، لِأَنَّهُ يُنْتَهَى إِلَيْهَا كَمَا يَرْجِعُ الْقَوْمُ إِلَى رَايَتِهِمْ فِي الْحَرْبِ.[1]

ويرى ابن منظور أنّ الغَايَةُ مأخوذة من مادة غَيَيَ، وأَلِفُه ياءٌ،،يُقَالُ: غَيَّيْت غَايَةً، ويراد بها: مَدَى الشّيء. وأَقْصى الشّيء، وغَايَة كلِّ شيءٍ: مُنْتهاهُ، وَجَمْعُهَا غَايَاتٌ وغَايٌ ، ويقال: هَذَا الشّيء غَايَةٌ، مَعْنَاهُ علامةٌ فِي جِنْسِه لَا نظيرَ لَهُ أَخذاً مِنْ غايةِ الحَرْب، وَهِيَ الرّايَة.وَيُقَالُ أيضا: مَعْنَاه هو مُنْتَهَى هَذَا الجِنْسِ، أُخِذَ من غَايَة السَّبْقِ، قَصَبَة تُنْصَب فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَكُونُ المُسابَقَةُ إِلَيْهِ ليَأْخُذها السابِقُ.[2]

فالغاية تطلق في اللغة على معنيين هما:

الأول: المنتهى في المكان ومدى الشيء، ومسافته وأقصاه ومنتهاه، وذلك مجازا، أي: من إطلاق الجزء وإرادة الكل.

الثاني: المنتهى في الجودة، والعلامة التي لا نظير لها في جنسها.

ثانيا: الغايات اصطلاحا: يختلف تعريف الغاية في الاصطلاح عند العلماء باختلاف فنونهم وتخصصاتهم:

فهي عند الأصوليين: "نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها وانتفائه بعدها".[3]

وقال الجرجاني: " الغاية: ما لأجله وجود الشّيء".[4]

وما قال به الجرجانيّ هو المتعلّق بغايات النّزول. ويمكن أن تعرّف الغاية على أنّها الأمر المراد حصوله والمقصود والمطلوب من إحداث أمر آخر، أو هي ما لأجله يحصل الفعل أي أغراض وأهداف القيام بفعل معيّن.

والعلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية واضحة؛ إذ بنيت عليها، فالمراد والمقصود وما لأجله يحصل الفعل، هو المنتهى في الجودة والخيرية التي لا نظير لها.

الفرع الثاني: تعريف النّزول

أولا: النزول لغة: اختلف اللغويّون في معنى النّزول، فقال ابن فارس: " النّون والزاي واللّام كلمة صحيحة تدلّ على هبوط شيء ووقوعه"[5] ، ويتّضح معناه عند الزّمخشريّ حيث قال: "ونزل من علوٍّ إلى سفلٍ"[6]. أمّا ابن منظور فيرى أنّ:" النّزول: الْحُلُولُ"[7].

وبناء على الاختلاف في معنى النّزول اختلفوا في معنى الإنزال والتّنزيل: فلا فرق بينهما عند من يفسّره بالحلول حيث قال ابن منظور: "وتَنَزَّلَه وأَنْزَلَه ونَزَّلَه بِمَعْنًى"[8]. أمّا من يفسّره بالهبوط من علوّ إلى سفل فيفرّق، حيث قال ابن فارس: "والتّنزيل: ترتيب الشّيء ووضعه منزله"[9]. وقال الرازي:" وَ(التّنزيل) أَيْضًا التَّرْتِيبُ. وَ(التَّنَزُّلُ) النّزول فِي مُهْلَةٍ"[10].

ثانيا: النزول اصطلاحا: يرى الرّاغب أنّ:"النّزول في الأصل هو انحِطَاطٌ من عُلْوّ... ونَزَلَ بكذا، وأَنْزَلَهُ بمعنًى"[11]، فإذا تعلّق الأمر بالقرآن أو بالملائكة وهو المعنى الاصطلاحي فيرى التّفريق بين الإنزال والتّنزيل حيث قال:" والفرق بين الإنزال والتّنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التّنزيل يختصّ بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرّقا، ومرّة بعد أخرى، والإنزال عامٌ"[12].

الفرع الثالث: تعريف القرآن

أولا: القرآن لغة: اختُلِفَ في لفظ القرآن مشتقٌّ هو أم لا. فقيل هو اسم غير مشتقّ من شيء بل هو اسم خاصّ بكلام الله، وهو قول الشّافعي وجماعة من الأئمّة. وقيل مشتقّ ثمّ اختلفوا في مادّته؛ فقيل من القري وهو الجمع ، وقيل من قرأ بمعنى أظهر وبيّن، وقيل من قرنت الشّيء بالشّيء إذا ضممته إليه وقيل: سُمِّي قرآنا لأنّ القراءة عنه والتّلاوة منْه.[13]

أمّا الرّاغب الأصفهاني فميَّز بين أصلِه وتحوُّلِه فيرى أنّه في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان ويرجع معناه إلى الجمع ثم خصّ بالكتاب المنزّل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فصار له كالعلم[14].

القرآن اصطلاحا: تنوّعت التّعاريف الاصطلاحية للقرآن الكريم بعبارات مختلفة، مفادها أنّ القرآن كلام الله المنزّل على النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته، المعجز ولو بسورة مِنْه.

ومن خلال التّعريف بأفراد المركّب الإضافيّ يمكن تعريف نزول القرآن على أنّه: عمليّة انتقاله من مصدر علويّ إلى وجهة أسفل منه جملة وتفريقا.

ويمكن تعريف غايات نزول القرآن بأنّها مرادات الله من إنزال القرآن من مصادره العلوية جملة وتفريقا إلى الوجهات السّفلى لتلك النّزولات. أو هي الأهداف والأغراض من إنزال الله القرآن العظيم.

المطلب الثاني
الغاية من إنزال القرآن في اللّيلة المباركة

وهو النّزول الأوّل إلى السماء الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5)** ﴾ (الدخان:3-5).

بيّن الله تعالى أنّه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر من شهر رمضان كما دلّ

عليه قوله: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ (القدر:1)، وقوله:﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ (البقرة: 185). وبركة ليلة القدر أنّها يقضي الله فيها قضاء السّنة؛ روى الطّبريّ بسنده عن أبي مالك في قوله: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾:" قال: أمر السّنة إلى السّنة ما كان من خلق أو رزق أو أَجَلٍ أو مصيبة، أو نحو هذا"[15].وذلك التّقدير جار وفق علم الله تعالى وحكمته، لأجل ذلك قال تعالى:﴿ **كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾، قال ابن عاشور: " والأمر الحكيم: المشتمل على حكمة من حكمة الله تعالى أو الأمر الذي أحكمه الله تعالى وأتقنه بما ينطوي عليه من النّظم المدبّرة الدّالة على سعة العلم وعمومه "[16] وهذا من بركة ليلة القدر.

ومن بركتها أن جعل الله ثواب العمل فيها مضاعفا وهو ما رجحه الطّبريّ في تفسيره بقوله: "عملٌ في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر"[17]. ومن بركتها كذلك أنّها سلام حتّى مطلع الفجر كما جاء في سورة القدر أي: " من الشرّ كلّه من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها"[18]. فاختار الله تعالى هذه اللّيلة المباركة لإنزال القرآن فزادت بركةً على بركةٍ بإنزاله فيها. والمقصود بإنزال القرآن فيها هو نزوله جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا كما دلّ عليه معنى لفظ الإنزال الوارد في الآيات المذكورة المخالف لمعنى لفظ التّنزيل الدّال على التّفريق والتّنجيم، كما دلّ على ذلك أيضا ما رواه الطّبريّ بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما موقوفا وله حكم الرّفع أنّه قال:" نزل القرآن كلّه مرّة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السّماء الدّنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتّى جمعه"[19].

والغاية من إنزال القرآن في تلك اللّيلة المباركة من خلال آيات سورة الدّخان، هي التّهيُّؤ لإحداث الرّسالة وبعث الرّسول، من أجل إنذار النّاس وتحذيرهم من عقوبة الله، ويدلّ على التهيؤ معنى الاستقبال في قوله تعالى: "منذرين"، "مرسِلين". و لعلّ وجه ارتباط النّزول الجملي بالتهيؤ لإحداث الرّسالة من ارتباط النّزول المفرّق للقرآن بالنّزول الجمليّ؛ ذلك أنّه مبنيّ عليه وأنّ الله يأمر جبريل بإنزال آية كذا وآية كذا، فينزلها من مواقع النّجوم في السّماء الدّنيا. فتبتدئ النبوّة والرّسالة بابتداء النزول منها.

كما ذكر العلماء غايات أخرى من نزوله جملة إلى السّماء الدّنيا منها:

• إعلام سكّان السّماوات السّبع أنّ هذا آخر الكتب المنزّلة على خاتم الرّسل- صلّى الله عليه وسلّم - لأشرف الأمم، وفي ذلك تفخيم أمر القرآن الكريم وأمر من نزل عليه.[20]

• تعظيم شأن بني آدم عند الملائكة: قال السّخاوي: "في ذلك تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عزّ وجلّ بهم ورحمته لهم"[21].

المطلب الثّالث

الغاية من إنزال القرآن على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

وإنزال القرآن على النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم هو النّزول الثّاني. وقد تنوّعت غايات هذا النّزول وتعدّدت على النّحو الآتي:

الفرع الأول: غاياتٌ ذكرت مستقلةً عن ارتباطٍ بعلاقةٍ من علاقات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

وردت بعض الآيات تبيّن الغايات من إنزال القرآن على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بغضّ النّظر عن علاقاته مع ما يحيط به، فالقصد منها بيان سبب وحكمة إنزال القرآن على محمّد وفقط دون اعتبار لأي أمور أخرى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194)**﴾ (الشعراء:192-194). فذكرت الآيات أنّ القرآن أنزل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم من أجل أن يكون منذرا، والمنذر هو الرّسول، فالمقصد من إنزال القرآن عليه إحداث الرّسالة، وأن يصير رسولا ينذر من أُرسِل إليهم عقاب الله إن خالفوا أمره. وفي ذلك إشارة ضمنيّة إلى البشارة بالثّواب لمن أطاعوا أمره والتزموا تعاليمه وشرائعه. قال ابن عاشور:" ومعنى: لتكون من المنذرين لتكون من الرّسل. واختير من أفعاله النّذارة لأنّها أخصّ بغرض السّورة فإنّها افتتحت بذكر إعراضهم وبإنذارهم، وفي: من المنذرين من المبالغة في تمكّن وصف الرّسالة منه"[22].

كما ذكر الله تعالى غاية أخرى على هذا النّحو من الاستقلال في قوله سبحانه: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (النحل:89). فالغاية من إنزال القرآن على محمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد إحداث الرّسالة هي بيان كلّ شيء يُحتاج إليه من أمور الدّين، وما لا تستقيم أمور الدّنيا إلّا به. قال ابن عاشور: " و «كلّ شيء» يفيد العموم إلّا أنّه عموم عرفيّ في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشّرائع: من إصلاح النّفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدنيّ، وتبيين الحقوق، وما تتوقف عليه الدّعوة من الاستدلال على الوحدانية، وصدق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلميّة والدّقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التّاريخ، وما يتخلّل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم. وفي خلال ذلك كلّه أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف، صالحة لأن تكون بيانا لكلّ شيء على وجه العموم الحقيقي، إن سلك في بيانها طريق التّفصيل واستنير فيها بما شرح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وما قفاه به أصحابه وعلماء أمّته، ثمّ ما يعود إلى التّرغيب والتّرهيب من وصف ما أعدّ للطّائعين وما أعدّ للمعرضين، ووصف عالم الغيب والحياة الآخرة. ففي كلّ ذلك بيان لكلّ شيء يقصد بيانه للتبصّر في هذا الغرض الجليل، فيؤول ذلك العموم العرفيّ بصريحه إلى عموم حقيقيّ بضمنه ولوازمه. وهذا من أبدع الإعجاز."[23]

الفرع الثاني: غاياتٌ متعدّدةٌ على نحو تعدّدِ علاقاته صلّى الله عليه وسلّم

عاش النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع أصحابه المؤمنين، وعايش المشركين، وعايش اليهود والنصارى من أهل الكتاب، وعايش المنافقين، وما أرسل عليه الصّلاة والسّلام إلّا رحمة للعالمين، فجاءت غايات إنزال القرآن مراعيةً احتكاك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بكلّ تلك الأصناف على النّحو الآتي:

أولا: من جهة علاقته صلّى الله عليه وسلّم بالنّاس عموما:

وردت مجموعة من الآيات تبين الغايات من إنزال القرآن على النّبيّ صلّى الله عليه

وسلّم؛ وذلك بمراعاة علاقته الجديدة بالنّاس من حوله، بعد أن صار بنزول القرآن رسولا وبتبيان الحقّ به عالما وبصيرا.

فمن ذلك غاية إنذارهم وهي تحذيرهم من مغبّة الابتعاد عن التّوحيد والوعيد على ذلك؛ حيث جاء بيانها مطلقة عن بيان المنذرين فقال تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ**﴾ (الأعراف:2)، قال الطّبريّ: "لتنذر به من أمرتك بإنذاره"[241]. فالقصد بيان أنّ الغاية من الإنزال هي الإنذار، وقال تعالى مبيّنا ما ينذرون به: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ** ﴾ (الكهف:1-2). قال السّعديّ:" لينذر بهذا القرآن الكريم، عقابه الذي عنده، أي: قدّره وقضاه، على من خالف أمره، وهذا يشمل عقاب الدّنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضا، من نعمه أن خوّف عباده، وأنذرهم ما يضرّهم ويهلكهم "[25].

كما جاء بيانها مرتبطة ببيان المنذرين، فكان أوّل من يوجّه لهم الإنذار قومه صلّى الله عليه وسلّم ومن جاورهم فقال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ (الأنعام: 92) ففي الآية بيان غاية إنزاله على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بدليل توجه الخطاب إليه في قوله تعالى: "لتنذر"، وجاء بيان غاية الإنذار مرتبطا ببيان سبب توجّهه لهم وهو غفلتهم، لأنّهم كانوا أهل فترة من الرّسل لم ينذروا هم ولا آباؤهم ؛ فقال تعالى:﴿**تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَقَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)** ﴾ (يس:5-6)، وقال تعالى: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(3)**﴾ (السجدة:2-3) .

ولمّا كان الابتداء بإنذار قومه ومن جاورهم لا يعني اقتصاره عليهم،جاء قوله تعالى مبيّنا أن غاية الإنزال الّتي هي الإنذار إنّما هي عالميّة عامّة للنّاس جميعا في نهايتها، فقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ (الفرقان:1)، وغاية هذه الغاية بيّنها الله تعالى في قوله: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ**

رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:1). فالقرآن أنزل ليُنذر به والإنذار لأجل إخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور. قال الطّبريّ: "من ظلمات الضّلالة والكفرِ، إلى نور الإيمان وضيائه"[26]، إلى صراط الله المستقيم؛ قال الطّبريّ:" وهو دينه الذي ارتضاه، وشَرَعُه لخلقه"[27].

وهذه الغاية لا تتمّ إلّا بسببين ذكرهما الله تعالى أنّهما من غايات إنزال قرآنه على رسوله، وهذا من باب ذكر وسائل الغايات. فالوسائل غايات صغرى لغايات كبرى، وهما:

السّبب الأوّل: متعلّق بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم نفسه من خلال **بيان** ما نُزِّل لهؤلاء النّاس؛ فجعل الله تعالى هذا السّبب وهو البيان وسيلة الغاية الكبرى وهي الإخراج ؛ قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ (النحل:44)، وهذه الوسيلة وحدها غير كافية لتحقيق الغاية الكبرى فلا بدّ لها من الوسيلة الثّانية وهي السّبب الثاني.

السّبب الثّاني: متعلّق بالنّاس المدعوّين من خلال **تفكّرهم** فيما يتلى عليهم و**تدبّرهم** له **ليتذكّروا** ويتّعظوا. فقد جاء ذكر هذه الوسائل على أنها غايات لأنها كما تبين غايات صغرى أو فرعية موصلة للغاية الكبرى أو الأصلية، فقال تعالى في غاية الإنزال الّتي هي التفكّر: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل:44)، وفي الغاية الّتي هي التدبّر والتذكّر:﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (ص:29).

وحتّى ترتبط الوسائل بالغايات لابد من التّجسيد العمليّ، فمن خلال بيان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لتعاليم القرآن وبعد التفكّر والتدبّر والتذكّر من النّاس الذين بُلِّغوا القرآن لا تتمّ الغاية الكبرى عمليّا، وهي الإخراج من الظّلمات إلى النّور، حتّى يتجسّد مقتضى تلك الوسائل عمليّا، وهو الحكم بالقرآن والتّحاكم إليه. قال تعالى:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** ﴾ (النساء:105)، فغاية إنزال القرآن أن

يكون دستور حياة، حاكما بين النّاس فيما اختلفوا فيه حتّى لا يخرجوا عن صراط الله المستقيم إلى سبل الضّلال والغواية؛ قال تعالى مبيّنا هذه الغاية: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ (النحل:64) وبيان ما اختلفوا فيه حكم بالحقّ فيه.

هذا وبعد أن كانت غاية إنزال القرآن على محمّد صلّى الله عليه وسلّم خطاب النّاس عامة، من أجل إخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وبعد أن انقسم النّاس بعد ذلك الخطاب إلى مؤمن وكافر به؛ تغيّر وضع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتغيّرت علاقاته وطبيعة من يحتكّ بهم؛ فتغيّر الخطاب وجاءت الآيات متحدّثة عن غايات إنزاله على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمراعاة علاقاته بتلك الأصناف من النّاس.

ثانيا: من جهة علاقته صلّى الله عليه وسلّم بمن استجاب لدعوته

تحدّث القرآن عن غايات إنزاله على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من جهة علاقته بمن استجاب لدعوته. فبيّن تعالى أنّه أنزله عليه هداية ورحمة وذكرى وبشرى لهم. أمّا الهداية والرّحمة والذّكرى فقبل أن يحصل منهم إيمان وبعد أن آمنوا. وأمّا البشرى فبعد حصول الإيمان منهم.

فقال تعالى في تعلق الغاية بالهداية والرّحمة: ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل:64)، وقال تعالى:﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل:89).

الملاحظ من خلال الآيتين أن الله تعالى يذكر الذين استجابوا لدعوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم تارة بالمسلمين، وتارة بقوم يؤمنون، وفي آيات أخرى بالمؤمنين وبأوصاف أخرى غير هذه. أمّا المسلمون فهم المؤمنون، وأكثر المفسّرين لا يفرّقون بين قوله تعالى: ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **للمؤمنين** ﴾. أما ابن عاشور وقبله الماوردي رحمهما الله فيفرّقان.

قال الماوردي في قوله تعالى:﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: "يريدون الإيمان ولا يقصدون العناد"[28]. وقال ابن عاشور: " واستحضار المؤمنين بعنوان: (قوم يؤمنون) دون أن يقال: للمؤمنين، لما في لفظ قوم من الإيماء إلى أن الإيمان من مقوّمات قوميّتهم، أي لقوم شعارهم أن يؤمنوا، يعني لقوم شعارهم النّظر والإنصاف، فإذا قامت لهم دلائل الإيمان آمنوا ولم يكابروا ظلما وعلوّا، فالفعل مراد به الحال القريبة من الاستقبال"[29].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل:64) أي أنّ القرآن أنزل هداية لأناس يؤمنون بالحقّ إذا جاءهم لأنّهم أهل إنصاف ونظر في الأدلّة، فهم يريدون الإيمان ولا يقصدون العناد والمكابرة، هداية لهم إلى الإيمان هداية إرشاد وتوفيق معا إذ لم يكونوا مؤمنين من قبل. ولا شكّ أن ذلك رحمة منه لهم وعناية بهم، إذ عرّفهم بربّهم ومعبودهم بعد أن اختلفوا فيه وضلّ أكثرهم عن طريق التّوحيد.

أمّا قوله تعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:89)، فالهداية للمسلمين، وهم المؤمنون أي بعد حصول الإيمان منهم، فورد في آية أخرى وإن لم تكن في تعليل الإنزال وإنّما في بيان حال النّزول أنّ القرآن الذي نزّله جبريل على قلب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نزّله هدًى للمؤمنين فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:97). فهداية القرآن لا تتوقّف عند الإيمان بالله معبودا واحدا بحقّ فقط بل تستمرّ باستمرار نزوله إلى ما بعد الإيمان لتصل التّمام، هداية إرشاد للتي هي أقوم لهم، عقيدة وشريعة، وأخلاقا وسلوكا، وتعريفا بالحلال والحرام، والنّافع والضارّ. وتخصيص المؤمنين بذلك لأنّهم هم المنتفعون به. قال الرازي: " وإنّما خَصّ المؤمنين بالذّكر من حيث إنّهم قبلوه فانتفعوا به"[30]، وقال أيضا: "أمّا كونه هدى فلأنّه دليل على الخيرات ويرشد إلى كلّ السّعادات"[31]، وقال السّعديّ:"يهديهم لطريق الرّشد والصّراط المستقيم، ويعلّمهم من العلوم النّافعة، ما به تحصل الهداية التّامة"[32]. ورحمة الله بهذه الهداية ظاهرة بما يغني عن مزيد بيان.

وقال تعالى في تعلّق غاية الإنزال بالذّكرى: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ

حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(2)﴾ (الأعراف:2). وقال:﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)﴾ (طه:2-3).

فأنزل القرآن على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من أجل الذّكرى الّتي يرجع معناها عند المفسّرين إلى الوعظ والتّذكير، وعظُ المؤمنين بالتّرغيب والتّرهيب وبيان سنّة الله فيمن قبلهم، قال السمرقندي: "وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ أي: وعظة للمؤمنين الذين يتّبعونك "[331]، وتذكيرٌ لهم بالله وبرسله وبما افترض عليهم. وتذكيرٌ لهم بالآخرة الّتي فيها معادهم. فالمؤمن من حيث طبيعته كإنسان ينسى ممّا يستدعي أن يذكّر من حين لآخر، فجاء هذا القرآن كتابا سُجِّل فيه كلّ ذلك ليتذكّر به المؤمن ما له من وعد وما عليه من واجبات. قال الماتريدي: " يتذكّرون بما فيه ويتدبّرونه فيعلمون به الحقّ من الباطل، ويذكرون به ما فرض عليهم"[34]. وقال أبو زهرة: " فيه التّذكير الدّائم برسالة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –، وفيه تذكير بالشّريعة؛ لأن فيه كلّياتها، وفيه تذكير بالرّسل أجمعين؛ لأنّه سجّل معجزاتهم، وفيه تذكير دائم بالله تعالى وهو العليّ الحكيم، وفيه الأوامر والنواهي"[35] ،لأجل ذلك قال تعالى:﴿ **وذكّر فإن الذّكرى تنفع المؤمنين**﴾ (الذاريات:55)، تنفعهم مواعظه وينفعهم تذكيره.

أمّا الذّكرى الّتي هي قبل الإيمان ففي قول الله تعالى: " إلا تذكرة لمن يخشى". قال ابن عاشور: "و(من يخشى) هو المستعدّ للتأمّل والنّظر في صحّة الدّين، وهو كلّ من يفكّر للنّجاة في العاقبة، فالخشية هنا مستعملة في المعنى العربيّ الأصليّ، ويجوز أن يراد بها المعنى الإسلاميّ، وهو خوف الله، فيكون المراد من الفعل المآل، أي من يؤول أمره إلى الخشية بتيسير الله تعالى له التّقوى، كقوله تعالى: ﴿ **هدى للمتّقين** ﴾ [البقرة: 2] أي الصّائرين إلى التّقوى" [36]، وقال القنوجي: "﴿لمن يخشى﴾ أي لمن خاف الله أو لمن يؤول أمره إلى الخشية أو لمن في قلبه خشية ورقّة يتأثّر بالإنزال أو لمن علم الله أنّه يخشى بالتّخويف منه فإنّه المنتفع، وكأنّه يشير إلى أنّ اللّام في لمن للعاقبة "[37].

والتّذكرة والذّكرى عند المفسّرين بمعنى واحد يدور حول أمرين: الموعظة والتّذكير،

فأنزل عليه صلّى الله عليه وسلّم من أجل وعظ من لم يحصل منه إيمان بعد ممّن كان في قلبه خشية ورِقَّة، وخصّ هذا بذاك لأنّه هو من يتأثّر بالوعظ ترغيبا وترهيبا.

وأمّا عن تذكيره وعن الذي يُذَكّر به مَن هذه حالُه فقد قال ابن عاشور:" والتّذكرة: خطور المنسيّ بالذّهن فإنّ التّوحيد مستقرّ في الفطرة والإشراك مناف لها، فالدّعوة إلى الإسلام تذكير لما في الفطرة أو تذكير لملّة إبراهيم عليه السّلام"[38].

كما يجوز أن تكون التّذكرة هنا للمؤمنين وهي بمعنى التّذكير، قال السّعديّ:" إلا ليتذكّر به من يخشى الله تعالى، فيتذكّر ما فيه من التّرغيب إلى أجلّ المطالب، فيعمل بذلك، ومن التّرهيب عن الشّقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكّر به الأحكام الحسنة الشّرعية المفصّلة، الّتي كان مستقرّا في عقله حسنها مجملا فوافق التّفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سمّاه الله {تَذْكِرَةً} والتّذكرة لشيء كان موجودا، إلّا أنّ صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخصّ بالتّذكرة {مَن يَخْشَى} لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنّة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى* وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى* الَّذِي يَصلّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾"[39].

وقال تعالى في تعلّق غاية الإنزال بالبشرى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ النحل (89)، وقال : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3)**﴾ (الكهف:1-3).

بعد هدايةِ ورحمةِ الإرشاد لطريق الحقّ والإيمان والتّذكير بالفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها، وبعد هدايةِ ورحمةِ التّوفيق لسلوك ذلك الطّريق والتّذكير بمعالمه، أُنزل القرآن على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليبشّر هؤلاء المؤمنين المتّبعين لتعاليم القرآن وهداياته الّذين يعملون الصّالحات بالأجر الحسن، وهو الجنّة والخلود فيها، فقال تعالى: ﴿**وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل:89)، وقال : ﴿ **وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3)**﴾ (الكهف:1-3).

فخلاصة غاية إنزاله على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من جهة علاقته بمن استجاب لدعوته، أنّها هدى ورحمة وذكرى لأناس علم الله أنّهم سيؤمنون بسبب ما اتّصفوا به من طلب للحقّ واتّباع للدّليل ورقّة في القلب وخشية للربّ، فأولئك من أنزل القرآن لهدايتهم رحمة بهم، وأولئك من ينتفعون بمواعظه وتذكيره. فلمّا اهتدوا برحمة الله وانتفعوا بمواعظ القرآن وتذكيره أنزل ما أنزل من القرآن هداية لهم إلى ما يصلح به حال دنياهم وأخراهم رحمة من الله بهم، وأنزل ما أنزل من القرآن موعظة لهم وتذكيرا لهم بالشّرائع والأحكام وبالله وبرسله وباليوم الآخر. كما أنزل مبشّرا للمهتدين المنتفعين بالقرآن موعظة وتذكيرا بجنّات النّعيم خالدين فيها أبدا.

ثالثا: من جهة علاقته صلّى الله عليه وسلّم بمن لم يكن من أمّة الإجابة

أما الصّنف الثّاني من النّاس، وهم من لم يكن من أمّة الإجابة، فقد تحدّث القرآن عن غايات إنزاله عليه صلّى الله عليه وسلّم من جهة علاقته بهذا الصّنف وهم من كفر وأشرك بالله.

قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)** ﴾ (الكهف:1-4).

قال في "التّحرير": "والمراد ب الّذين قالوا اتّخذ الله ولدا هنا المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وليس المراد به النّصارى الّذين قالوا بأنّ عيسى ابن الله تعالى، لأنّ القرآن المكيّ ما تعرّض للردّ على أهل الكتاب مع تأهّلهم للدّخول في العموم لاتحاد السّبب"[40]. ولما كان أهل الكتاب متأهلين للدخول في العموم فهم داخلون فيه لأن السّبب هنا لا يتقيد بزمان ولا بمكان ولا بناسبٍ ولا بنوع منسوب من الولد، فمتى نسب الولد تعلّقت به النّذارة . قال السّعديّ:"من اليهود والنّصارى، والمشركين، الذين قالوا هذه المقالة الشّنيعة".[41]

كما يحتمل الإنذار الوارد في قوله تعالى:﴿ **قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ**

﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أن يكون في الكفّار بقرينة مقابلتهم بالمؤمنين في الآية نفسها وكفرهم هنا من جهة إنكارهم إنزال القرآن من الله، وهذا ما ذهب إليه الشّيخ محمّد الطّاهر في تفسيره للآية[42]. فتكون غاية إنزال القرآن على الرّسول من جهة علاقته بمن لم يكونوا مؤمنين من الكفّار والمشركين أن يخوّفهم من عقاب الله الشّديد في العاجل والآجل بسبب إنكارهم أنّ القرآن منزّل منه أو بسبب نسبتهم الولد لله تعالى.

المطلب الرّابع

الغاية من إنزاله على هيئات وصفات معيّنة

ويتناول هذا المطلب بيان الغاية من إنزال القرآن على صفات مخصوصة كالتنجيم، وبلغة عربية دون غيرها من اللغات، ثم تثليث ذلك بالغاية من اتصافه بالوضوح والخلو من الغموض والتعقيد؛ وذلك من خلال ثلاثة فروع.

الفرع الأول: الغاية من إنزاله مفرّقا

والنّزول مفرّقا صفة للنّزول الثّاني الّذي كان على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. قال تعالى في بيان ذلك:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ (الفرقان:**32**)، وقال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ﴾ (الإسراء:**106**).

فالآيتان تبينان غايات النّزول المفرّق وهي على نوعين:

• الأول: التّفريق مراعاةً لحال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وذلك لأجل تثبيت فؤاده. لأنّه كان يعاني من الأذى من أعداء دعوته ما يعاني من حين إلى حين فينزل عليه من القرآن ما يثبّته على الحقّ وفق ذلك.

• الثاني : التّفريق مراعاةً لحال النّاس الّذين أنزل القرآن من أجلهم: وذلك من أجل أن يقرأ عليهم على مكث وهو التمهّل، والمقصود منه هو تسهيل فهمه وحفظه بنزوله رَسْلًا رَسْلًا، ومن أجل تيسير العمل بأحكامه وتعاليمه إذ منها النّاسخ والمنسوخ، ومراعاة

أحوال المدعوّين، والتدرّج بهم بتصحيح العقائد أوّلا وترسيخ الإيمان والعبودية لله، ثم تأتي الشرائع بالحلال والحرام، ولا يتأتّى ذلك لو أنزل عليهم جملة.

الفرع الثاني: الغاية من إنزاله عربيّا

كما أنزل القرآن مفرّقا من أجل تسهيل فهمه كذلك أنزل عربيّا للغاية نفسها؛ قال تعالى: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)**﴾ (يوسف:1-2). أي لأجل أن يعقله العرب لأنّه أنزل عليهم فناسب أن ينزل بلغتهم. قال الطّبريّ:"يقول تعالى ذكره: إنّا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب، لأنّ لسانهم وكلامهم عربيّ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه"[43]. أمّا عن الذي يعقلونه فقال طنطاوي: "وجملة لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ بيان لحكمة إنزاله بلغة العرب وحذف مفعول «تعقلون» للإشارة إلى أنّ نزوله بهذه الطّريقة، يترتّب عليه حصول تعقّل أشياء كثيرة لا يحصيها العدّ"[44]. وقال الماتريدي معدّدا بعضها:" ما لكم وما عليكم، وما تأتون وما تتقون، أو تعقلون أنّ هذه الأنباء الّتي يخبركم بها محمّد – صلّى اللَّهُ عليه وسلّم – من اللَّه – تعالى – لأنّها كانت في كتبهم بغير لسانه، فأخبر على ما كانت في كتبهم؛ دلّ أنّه إنّما عرف ذلك باللَّه تعالى. أو لعلّكم تعقلون بأنّ فيه شرفكم؛ لأنّكم تصيرون متبوعين لمّا يحتاج النّاس إلى معرفة ما فيه، ولا يوصل ذلك إلّا بكم فتكونون متبوعين والنّاس أتباع لكم؛ وهو كقوله: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ)، قال أهل التأويل: أي: فيه شرفكم، واللَّه أعلم"[45]. وقال الزّحيلي: " لتتعلّموا ما لم تكونوا تعلمون من قصص وأخبار، وآداب وأخلاق، وأحكام وتشريعات، ومناهج حياة سليمة في السّياسة والاجتماع والاقتصاد وشؤون الدّولة، ولتتدبّروا ما فيها من معان وأهداف، تبني الفرد والجماعة على أقوم الأسس"[46].

أمّا الصّابوني فله رأي آخر وهو أنه أنزل عربيّا ليدرك العرب إعجازه فقال:" أي لكي تعقلوا وتدركوا أنّ الّذي يصنع من الكلمات العاديّة هذا الكتاب المعجز ليس بشراً، وإنّما هو إله قدير، وهذا الكلام وحيٌ منزل من ربّ العالمين."[47]

كما تحدّث ابن كثير عن سرّ اختيار أن يكون القرآن عربيّا في تفسير هذه الآية قائلا: " وذلك لأنّ لغة العرب أفصح اللّغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني الّتي تقوم بالنّفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللّغات، على أشرف الرّسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السّنة وهو رمضان، فكمل من كلّ الوجوه "[48].

فملخّص الغاية من إنزاله عربيا أن يفهم من أنزل عليهم القرآن وهم العرب ما تضمّنه من شرائع وأحكام وآداب وأخلاق ومناهج لحياة مثاليّة وما يقوم عليه كلّ ذلك من حكم وأسرار، وأن يعلموا أنّه من الله حقّا بما تضمّنه من أخبار وبما هو عليه من نهاية الفصاحة والبلاغة والبيان، كما أنّه أنزل عربيّا لأنّ العربيّة أكثر اللّغات تأدية للمعاني الّتي تقوم بالنّفوس فهي أمثل وسيلة لإيصال المقصد بأوضح صورة إلى النّاس.

الفرع الثالث: الغاية من إنزاله واضح الآيات

زيادة على تنزيل القرآن مفرّقا وإنزاله باللّسان العربيّ المبين من أجل تيسير فهمه وحفظه وتيسير العمل به أنزل كذلك بَيِّنَ الآيات فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحديد:9) .قال البغوي: " يَعْنِي الْقُرْآنَ "[49]، وقال السّمرقندي : "يعني: آيات القرآن "[50].

وفي معنى كون آيات القرآن بيّنات قال الطّبريّ: " مفصّلات "[51]. وقال السّمرقندي: "واضحات بيّن فيها الحلال، والحرام، والأمر، والنّهي "[52]، وقال السّعديّ: " ظاهرات تدلّ أهل العقول على صدق كلّ ما جاء به وأنّه حقّ اليقين "[53] . وذكر تعالى الغاية من إنزاله واضح الآيات مفصّلات في قوله:﴿ **لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ أي: من ظلمة الجهل إلى نور العلم ومن ظلمة الضّلالة إلى نور الهدى ومن ظلمة الشكّ إلى نور اليقين ومن ظلمة الكفر والشّرك إلى نور الإيمان والتّوحيد ومن ظلمة المعاصي إلى نور الهدى ومن ظلمة الأهواء المتضادّة إلى نور القلوب المتآلفة[54].وبَيْن الوضوحِ وغايةِ الإخراج من الظّلمات إلى النّور غايةٌ وسيطةٌ وهي تسهيل وصوله إلى القلوب وتيسير

فهمه.

وكما جاء الحديث عن غاية إنزال القرآن عموما على وصف معين وهو الوضوح والظّهور كذلك جاء الحديث عن الغاية من إنزال بعض أجزائه خصوصا، على الوصف نفسه، فقال تعالى في سورة النور: ﴿ **سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (النور:1). فذكر تعالى الغاية من إنزال السّورة على صفة معيّنة وهي صفة وضوح آياتها. قال الشّيخ محمّد الطّاهر:" فقوله: وأنزلنا فيها هو: بمعنى وأنزلناها آيات بيّنات. ووصف آيات بـ:بيّنات أي واضحات، مجاز عقليّ لأنّ البيّن هو معانيها".[55]وقال: " والوجه أنّ جملة لعلّكم تذكّرون مرتبطة بجملة: أنزلنا فيها آيات بيّنات لأنّ الآيات بهذا المعنى مظنّة التذكّر، أي دلائل مظنّة لحصول تذكركم. فحصل بهذا الرجاء وصف آخر للسورة هو أنّها مبعث تذكّر وعظة "[56]. قال السّمرقندي:" لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، يعني: تتّعظون، فلا تعطّلون الأحكام والحدود"[57]. فالغاية من نزولها واضحة هو رجاء أن يتّعظ النّاس بما فيها من الأحكام والحدود والزّواجر والمواعظ.

المطلب الخامس

الغاية من إنزاله إلى وجهات معيّنة

كما تحدّث القرآن عن الغاية من إنزاله على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، تحدّث كذلك عن الغاية من إنزاله على أصناف من الّذين بعث الرّسول به إليهم، وهم عامّة النّاس والمؤمنون والمنافقون، دون ذكر المبلِّغ له صلّى الله عليه وسلّم.

وكَوْنُ القرآن نازلا عليهم لا يتنافى مع كونه نازلا على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والنّاس جميعا مشتركون في أنّه أنزل عليهم من أجل اشتراكهم جميعا في المستوى الأرضي، والقرآن نازل عليهم من المستوى السّمائي، ومشتركون جميعا في كون القرآن نازلا إليهم، أي متوجها بالخطاب لهم جميعا.

والتّفريق بين النّزولين – نزوله على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ونزوله على أصناف النّاس- إنّما هو من أجل بيان تعلّق غاية النّزول بوظيفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم،

وتعلق غاية النّزول بواجب هؤلاء الناس تجاه القرآن.

الفرع الأول: الغاية من إنزاله على النّاس

أخبر الله تعالى عن الغاية الّتي من أجلها أنزل القرآن على النّاس فقال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة:231).

ففي الآية خطاب للمؤمنين يذكّرهم بنعمة إنزال القرآن عليهم في جاهليّتهم قبل أن يكونوا مؤمنين مبيّنا الغاية من ذلك التّنزيل.قال الشوكاني: "واذكروا نعمت الله عليكم أي: النّعمة الّتي صرتم فيها بالإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية جهلاء، وظلمات بعضها فوق بعض"[58]، وقال: "وأفرد الكتاب والحكمة بالذّكر مع دخولهما في النّعمة دخولا أوليا، تنبيها على خطرهما وعظم شأنهما"[59].

والغاية هي الموعظة. قال ابن كثير:" ﴿يعظكم به﴾ أي: يأمركم وينهاكم ويتوعّدكم على ارتكاب المحارم "[60]. وقال ابن عاشور:" والموعظة والوعظ: النّصح والتّذكير بما يلين القلوب، ويحذّر الموعوظ "[61].ولاشكّ أنّ الموعظة غايتها الهداية للإيمان. لأجل ذلك قال تعالى:﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾ (البقرة:185) أي حال كونِهِ هاديا لهم من خلال مواعظه.

الفرع الثاني: الغاية من إنزاله للمؤمنين

وبعد أن أنزل واعظا من أجل هداية النّاس إلى الإيمان، أنزل القرآن من أجل تثبيت المؤمنين أمام الفتن الّتي يتعرّضون لها، وأمام تكالب الأعداء عليهم، كما أنزل من أجل هدايتهم بعد أن آمنوا إلى ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم ومن أجل تبشيرهم بوعد الله بالجزاء الحسن في الدّنيا والآخرة، وفي هذه البشرى ما يعين على تثبيتهم على طريق الحقّ، وما يحفّزهم على لزومه. قال تعالى:﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل:102).

الفرع الثالث: الغاية من إنزاله على المنافقين

بعد أن هاجر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، وأقام دولةً الحكمُ فيها للإسلام، والقوةُ فيها للمسلمين، تستَّر بعض أهل الكفر بإعلان الإسلام خوفا من بطش المسلمين، أو من أجل الكيد لهم، وهؤلاء هم المنافقون، فتعلق نزول القرآن بهم غايةً حيث قال تعالى: ﴿ **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِم سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة:64)، أمّا قوله تعالى: ﴿ **تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ** ﴾ فباعتبار وجودهم في عموم القوم الّذين نزل عليهم القرآن، أو باعتبار أنّها نزلت فيهم كما قال في التّحرير والتّنوير:" وتكون (على) بمعنى لام التّعليل أي تنزل لأجل أحوالهم كقوله تعالى: "ولتكبّروا الله على ما هداكم" (البقرة: 185) وهو كثير في الكلام " [62]، وذكرَ أوجها أخرى في معناها. فذكر تعالى أنّ نزول السّورة عليهم إنّما هو من أجل فضحهم، وكشف طبائعهم وخبث سرائرهم، ولذلك سمّيت سورة التّوبة بالفاضحة؛ روى الطّبريّ بسنده عن قتادة أنّه قال:" كانت تسمَّى هذه السّورة: (الفَاضِحَةَ) ، فاضحة المنافقين"[63].

فكان إذاً من غايات إنزال القرآن على المنافقين – بمعنى إنزاله فيهم أو موجّها إليهم – فضحهم وكشف أمرهم، وإظهار سرائرهم وتحذير المسلمين من مكرهم وكيدهم لهم، فيذكُرهم بأوصافهم وأفعالهم وأقوالهم، لا بأعيانهم، لأنّهم يكونون في كلّ زمان وفي كلّ مكان، ما كانت دولة الإسلام قائمة، فالحاجة إلى أوصافهم لا إلى أعيانهم. وقد ورد فضح المنافقين في مواضع أخرى من القرآن الكريم في سورة "المنافقون" وسورة "النور" وغيرها.

المطلب السّادس

الغاية من إنزال بعض أجزائه

تحدث القرآن كذلك عن غايات إنزال بعض سوره، وهذا من ذكر الغايات التّفصيلية لبعض أجزاء القرآن الكريم، ومن ذلك ما سبق ذكره عن سورة التوبة، والّتي ذكر الله

تعالى أنّها متعددة الأغراض حيث قال: ﴿ **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة:64). قال السمرقندي: "يعني: سورة براءة تنبّئهم بِما فِي قُلُوبِهِمْ من النّفاق" [64] ، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ التوبة (86). قال في "بحر العلوم": " يعني: سورة براءة "[65]. فبيّن الله تعالى تعدّد أغراض السّورة؛ إذ هي تفضح المنافقين وتأمر بالإيمان بالله وبمقتضياته من الجهاد في سبيله مع رسوله.

ففي حديث القرآن في بيان غايات بعض أجزائه دليل على وجود غايات لبقية الأجزاء فما من سورة إلا ولها غرض أو أغراض جاءت من أجلها، وقد اشتغل الكثير من المفسّرين في بيانها.

الخاتمة

الحمد لله أن وفقني لإتمام هذا البحث الموسوم ب" **غايات إنزال القرآن الكريم في ضوء نصوصه**"والذي تمّ التوصّل من خلاله إلى جملة من النّتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- لقد أجاب القرآن الكريم عن الإشكالية المطروحة فبيّن الغاية الّتي من أجلها أنزله الله تعالى.
- بيان القرآن لغايات نزوله توزّع على جميع أنواع نزوله ومراحله:

✓ بيّن القرآن غاية أنواع النّزول:فغاية النّوع الأوّل، وهو النّزول إلى السّماء الدّنيا، فأصلها التّهيُّؤ لإحداث الرّسالة، مع غايات أخرى جاءت بالتّبع، وهي إعلام أهل السّماوات، وتعظيم أمر النّازل والمنزّل عليهم.

✓ وغاية النّوع الثّاني، وهو النّزول على محمّد صلّى الله عليه وسلّم، هي أن يجعله به رسولا، ويبيّن له كلّ شيء يُحتاج إليه من أمور الدّين، وما لا تستقيم أمور الدّنيا إلّا به، لينذر به من أرسل إليهم.

✓ بيّن القرآن غاية نزوله على هيئات وأوصاف معيّنة نحو نزوله مفرّقا وبلغة العرب ونزوله بيّنا واضحا.وكلّ ذلك راجع إلى أصل التّيسير؛ تيسير فهمه والاتّعاظ به وحفظه والعمل به. ويزيد نزوله مفرّقا بغاية أخرى، وهي مراعاة المرحلية في التدرّج بالمدعوّين، والارتقاء بهم في مدارج الكمال؛ من الضّلالة إلى الهداية إلى الإيمان ومعرفة الله تعالى، ثم يَنزل من القرآن ما يُعرِّفهم بشريعة الله وأحكامها، ثم ما يثبّتهم على الهداية ثم ما يكون بشرى لمن آمن به وهكذا.

• بيّن الغاية من نزوله على أصناف النّاس المختلفة، وهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وعموم النّاس عند ابتداء نزوله، والمؤمنون والكافرون والمنافقون بعد أن بلغهم وتباينت مواقفهم تجاهه؛ إذ يتنوّع خطابه بتنوّع المخاطب به، وفي تنوّع هذه النّزولات مراعاة لمرحلية الخطاب، فتوجّه الخطاب للرّسول أوّلا ليكون رسولا، ثم للنّاس عموما يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، ثم لمن آمن تعليما وإرشادا لهم وتثبيتا، ثم لمن كفر ممثّلين بمن نسب لله الولد، وبالمنافقين فضحا وتحذيرا ووعيدا.

• تفصيل الغاية من إنزاله على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، هي أنّها تتعدّد أوجهها بتعدّد علاقاته صلّى الله عليه وسلّم:

✓ فمن جهة علاقته بالنّاس بعد أن أنزل عليه القرآن، كانت الغاية هي أن ينذرهم جميعا بأس الله تعالى، لأنّهم كانوا أهل فترة غافلين عن التّوحيد. و جاء ذكر غايات أخرى، وهي أن يخرجهم به من الظّلمات إلى النّور، ومن أجل أن يبيّن لهم ما أنزل الله، وليتفكّر النّاس فيه ويتدبّروا آياته ويتذكّروا، وأن يبيّن لهم الحقّ منه ويحكم بينهم به.

فانقسمت هذه الغايات إلى غايات كبرى وغايات وسيطة، فالغاية الكبرى هي هدايتهم إلى الإيمان والتوحيد، والغايات الوسيطة هي إنذار النّاس ببيان رسالة الله، ودعوتهم إلى التفكّر فيها، والتدبّر فيها من أجل أن يتذكّروا فطرة الله الّتي فطرهم عليها، ويعرفوا الحقّ من الباطل فيلتزموه.

✓ ومن جهة علاقته بمن آمن به واستجاب لدعوته، كانت الغاية هي أن يهديهم

بالقرآن، ويرحمهم ويذكّرهم به، وهذا قبل أن يحصل منهم الإيمان، وكذلك ليهديهم ويرحمهم ويذكّرهم بعد إيمانهم ويبشّرهم بالجزاء الحسن، والهداية والرّحمة والذّكرى قبل الإيمان غير الهداية والرّحمة والذّكرى بعد الإيمان.

✓ ومن جهة علاقته بمن لم يستجب لدعوته، كانت الغاية هي أن ينذرهم عقاب الله بسبب إنكارهم أنّ القرآن منزّل منه، أو بسبب نسبتهم الولد لله تعالى.

• وتفصيل الغاية من إنزاله على بقيّة أصناف النّاس:

✓ أن غاية إنزاله على النّاس عموما هي الاهتداء به عن طريق وعظهم وتذكيرهم.

✓ أن الغاية من إنزاله على المؤمنين هي اتخاذه دستورا لهم في سائر شؤون حياتهم.

✓ أن الغاية من إنزاله على المنافقين فضحهم، وتحذير المسلمين منهم.

• الفرق بين غايات إنزال القرآن على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من جهة علاقته بأصناف النّاس، وغايات إنزاله على تلك الأصناف، يكمن في أنّ الأولى بيان لتعلّق الغاية بوظيفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وهي أن ينذر ويهدي ...إلخ، على النّحو الذي سبق بيانه، أمّا الثّانية فهي بيان لتعلّق تلك الغايات بواجبات تلك الأصناف وهي الاتّعاظ والتذكّر ...إلخ على النّحو الّذي سبق بيانه.

• بيّن القرآن الغاية من إنزال بعض أجزائه ممثّلة بسورة التّوبة، المتعدّدة الأغراض، إشارة إلى أنّ سور القرآن جاءت من أجل أغراض وغايات جزئية أو تفصيليّة، وإن كانت كلّها خادمة للغاية الكبرى، وهي إخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور.

كما تمّ التوصّل من خلال البحث إلى نتائج أخرى غير الإجابة على الإشكاليّة،وهي:

• تنوّع غايات الإنزال إلى غايات كبرى وغايات وسيطة وغايات تفصيليّة.

• في الحديث عن غايات إنزال القرآن، بيان لبعض حِكم الله تعالى في بعض أفعاله، وكمال علمه وحكمته وقدرته ورحمته بالخلق ورأفته بهم.

•ظهور دقّة التعبير القرآني في أداء المعاني، وعدم الاختلاف والتناقض، وإنما هو الائتلاف والتكامل لبناء وحدة موضوعية متكاملة ملمّة بجميع نواحي موضوع الغايات من إنزال القرآن في أزمنة معيّنة، وبكيفيات معيّنة على هيئات معيّنة، وإلى وجهات معيّنة بموضوعات معيّنة.

وفي الختام: أوصي بدراسة الموضوع في رسالة علمية، تتولى بحثه بشكل موسع، يحيط بجميع أطرافه، ويُبين كل دقائقه التي لم تسمح هذه المساحة بتناولها.

ونسأل الله أن يغفر زلاّت الفكر والقلم،وينفع بهذا العمل، ويثقل به ميزان الحسنات. **وصلِّ اللَّهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.**

*** الحواشي والإحالات:**

1- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ج4، 400

2- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب،بيروت، دار صابر، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج15 ص143.

3- ابن بدران عبد القادر الدمشقي، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية،1401، 257/1.

4- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق منشاوي، دار الفضيلة، ص135.

5-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، ج5 ص417.

6- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ج2 ص263.

7- ابن منظور، لسان العرب،مرجع سبق ذكره، ج 11، ص656.

8- نفسه.

9- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، ج 5 ص 417.

10- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، مكتبة لبنان، 1986، ص 273.

11- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وإعداد مركز

الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص631.

12- نفسه.

13- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ج1 ص277-278. بتصرّف.

14- ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سبق ذكره، ص 520.

15- ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. عبد السند حسن يمامة، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م، ج 21 ص08.

16- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ج25 ص 280.

17-ابن جرير الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره، ج 24 ص 547.

18-نفسه، ج 24، ص 548.

19- المرجع السابق، ج 3 ،ص 190.

20- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج1 ص119. بتصرف يسير.

21- السّخاوي، علم الدين علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكة المكرمة، مكتبة التراث، الطبعة الأولى، 1408 ه - 1987 م، ج1، ص20.

22- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج19، ص190.

23- نفسه، ج 14، ص 253.

24- ابن جرير الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره، ج 10، ص 56.

25-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،1423ه-2002م، ص470.

26-المرجع السابق، ج 13، ص 588.

27- نفسه، ج 13، ص 588.

28- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون تفسير الماوردي، راجعه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ج 4، ص289.

29-ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج21، ص16.

30-محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1401 هـ - 1981 م، ج 20، ص 64.

31-نفسه، ج 27، ص135.

32- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سبق ذكره، ص 751.

33- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق عي

محمد معوض وآخرون، كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، ج1، ص530.

34-الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي، تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1425هـ- 2004م، ج2، ص206.

35-محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج5، ص2783.

36- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج16، ص 186.

37-القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، 1412هـ- 1992م، ج 8، ص212.

38-ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج16، ص 185.

39-السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، مرجع سبق ذكره ، ص502.

40- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره ، ج15،ص 251.

41- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سبق ذكره، ص470.

42-ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره ، ج15، ص 249.

43-الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره، ج13، ص6.

44-محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم- تفسير سورة يوسف عليه السلام، مطبعة السعادة، 1404 هـ - 1984 م، تابع الجزء الثاني عشر، ص25-26.

45-الماتريدي، تأويلات أهل السنة، مرجع سبق ذكره، ج2، ص 565.

46-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، الطبعة العاشرة، 1430 هـ- 2009م، مج 6 ج12، ص 529.

47-محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الرابعة(منقحة)، 1402هـ- 1981م، ج2، ص41.

48- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ- 1999م،ج4، ص 365-366.

49- البغوي،أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1412 ه، ج8، ص33.

50- السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سبق ذكره، ج3، 323.

51- الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره، ج 22، ص 391.

52-المرجع السابق، ج3، ص323.

53-السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص 838.

54-ينظر: الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره ج23، 173.

55- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج 18، ص 144.

56- - نفسه.

57- السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سبق ذكره،ج2، ص425.
58- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، 1431هـ- 2010م ، أشرف على الطباعة دار النوادر الكويتية، الكويت، ج1، ص242.
59- نفسه.
60-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سبق ذكره، ج1، ص631.
61- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سبق ذكره، ج 2، ص 425.
62- نفسه، ج 10، ص 248.
63- الطبري، جامع البيان، مرجع سبق ذكره، ج 11، ص 542.
64- السمرقندي،بحر العلوم، مرجع سبق ذكره، ج2، ص59.
65-نفسه، ج2، ص67.

The objectives of downloading the Holy Quran in the light of its texts

By: Dr.Nora benahcen & Tayeb Safiya - Batna University- 1

ABSTRACT

Most of Qur'anic sciences' books talk about the revelation of the Holy Qur'an, nevertheless one of the subject's aspect is almost neglected in these books. It is the purpose of sending down the Holy Qur'an, except a fraction of it which is the purpose of its sending down to the lowest heaven. This let us ask the question about what is the possibility of detecting these goals through Qur'anic texts? It's the purpose of this research entitled "the purpose of sending down the Holy Koran in light of its verses" because of its importance in understanding the will of God. And which is aimed at attempting to detect goals that revealed for which the Koran, which was distributed to all kinds of its descent and stages, and vary according to the different types of people.

All those goals contribute serving the major goal, which is get people out of the darkness into the light.

Keywords: Qur'anic sciences – Purpose – Sending – Goals – Verses – Will of God.